مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

ملف خاص عن الكتاب المدرسي

- علي صديقي
- حياة شتواني
- الحسين زاهدي
- أحمد الكبداني
- عبد الوهاب صديقي

مقالات

- مصطفى حجازي
- الغالي أحرشاو
- بنعيسى زغبوش
- عبد العزيز قريش
- العربي الهداني
- عبد الرحيم الضاقية
- جمال الحنصالي
- يونس البوتكمانتي
- رشيد بن بيه

العدد التاسع والأربعون - أكتوبر 2011

الصورة في كراسة الوضعيات الإدماجية بالتعليم الابتدائي

أحمد الكبداني / أستاذ باحث

لا مراء في الأهمية التي أصبحت تكتسيها الصورة في عصرنا الراهن، وفي المنظومة التربوية وضمن الوسائط التعليمية بصفة خاصة، لا سيما وأن العديد من الدراسات الحديثة أثبتت أن 90 % من مدخلاتنا الحسية هي مدخلات بصرية، وفي هذا الإطار، ذكر عالم التربية الأمريكي «جيروم برونر» المشهور بأبحاثه المتعلقة بالتفكير من خلال الاستكشاف والإبداع « أن الناس يتذكرون 10% فقط مما يسمعونه و 30% فقط مما يقرؤونه، في حين يصل ما يتذكرونه من بين ما يرونه أو ما يقومون به إلى 80 % ».

لذلك أصبحت الصورة الآن، مادة لكثير من الطروحات خارج مجالها الأصلي الذي ظهرت فيه، إذ بدأ الباحثون ينظرون لوظيفة الصورة في السينما والمسرح والصحافة وعبر وسائل الإعلام وفي اكتساب اللغات وفي السياسة والتربية إلى الحد الذي يمكن القول معه إن الصورة حاضرة بقوة في كل مكان لما لها من آثار إيجابية في تنشيط الانتباه والتذكر والتصور والتخييل، وهي كلها عوامل أساسية في العملية التعليمية التعلمية.

إذا، ما مفهوم الصورة؟ وما هي مكوناتها وآليات اشتغالها في كراسات الوضعيات الإدماجية؟ وهل تخضع هذه الصورة والرسوم لشروط الممارسة البيداغوجية الصحيحة ؟

مفهوم الصورة :

يلاحظ القارئ أنه من الصعوبة بمكان إعطاء تعريف جامع مانع كما يقول المناطقة لمفهوم الصورة، ويرجع الأمر في ذلك إلى طبيعة الخلفيات الإبستمولوجية والنظرية التي تستند عليها كل مقاربة في تعريف الصورة. ذلك أن الصورة في المجال السيكولوجي ليست هي الصورة في المجال التعليمي أو في مجال الفلسفة.

ففي لسان العرب لابن منظور : « تصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي والتصاوير التماثيل » .

واصطلاحا « هي ذلك الكل المكتمل المركب» والذي يشمل الجانب الحسي و العقلي والمعرفي والإبداعي، فهي تجسد المفهوم، وتشخص المعنى، وتجعل المحسوس أكثر حسية.

أما في المجال التعليمي الذي يعنينا في هذا المقام، فالصورة « وسيلة تعليمية مساعدة، وسيط يتم من خلاله تحقيق وظيفة تعليمية معينة كالعرض والوصف والشرح والتحليل والبرهنة وتنقسم إلى صورة ثابتة مثل الشفاف واللوحة الفنية، والصورة الفوتوغرافية، وأخرى متحركة مثل الشريط السينمائي والرسوم المتحركة » .

فلنحاول إذا استقراء وتصنيف الصورة في كراسات الوضعيات الإدماجية الخاصة بالتعليم الابتدائي لندرك نوع حضورها، وإمكانية تحقيق الأهداف المرجوة منها.

الصورة في كراسات الوضعيات الإدماجية :

في إطار الرهانات التي نص عليها البرنامج الاستعجالي لإصلاح المنظومة التربوية بالمغرب، وانسجاما مع أهداف الميثاق الوطني للتربية والتكوين، تم اعتماد بيداغوجيا الإدماج إطارا منهجيا لتصريف المقاربة بالكفايات، ولتسيير سبل تفعيل بيداغوجيا الإدماج بالتعليم الابتدائي، أصدرت وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي مجموعة من كراسة الوضعيات الإدماجية في طبعتها الجديدة خاصة بالتعليم الابتدائي، وتهم جميع المستويات الدراسية الخاصة بالمرحلة الابتدائية سواء تلك المتعلقة بالسلك الأساس أو السلك المتوسط. وقد روعي في توزيع موادها حسب المجالات المقررة بالتعليم الابتدائي، وحسب خصوصيات المواد المدرسة ومدى انفتاحها على المستجدات التربوية والثقافية، ومن المعلوم أن كراسة الوضعيات الإدماجية لم تظهر إلا في سياق التجديدات التي تعرفها المنظومة التربوية المغربية في إطار الاشتغال ببيداغوجيا الإدماج، والهدف من هذه الوضعيات الإدماجية هو تحقيق الجودة النوعية والكيفية، وذلك رغبة في مسايرة مستجدات الحقل التربوي بصفة عامة، وفي هذا السياق أضحت كراسة الوضعيات الإدماجية ترافق المتعلم طيلة السنة الدراسية كما جاء في مقدمة كراسات الوضعيات الادماجية باعتبارها «أداة مكملة للكتب المدرسية المقررة، وفيه وضعيات مشكلة مستوحاة من حياتك وبيئتك ».

وبناء عليه، تمت هيكلة كراسة الوضعيات الإدماجية على الشكل الآتي :

- داخل الجزء المخصص لكل مادة، تم تجميع الوضعيات المتعلقة بكل كفاية.

- حددت بالنسبة لكل كفاية أربع مراحل لتدرج الكفاية تبعا لتنظيم مقرر المادة وخصص لكل مرحلة وضعيتان.

- تم إرفاق هذه الوضعيات بمجموعة من الرسوم والصور و النصوص القصيرة تحفزك على التعلم وتساعدك على الحل ».

ولا ريب أن المتصفح و المشتغل بكراسة الوضعيات الإدماجية على مستوى الممارسة البيداغوجية يدرك الأهمية التي تكتسيها الصورة في العملية التعليمية التعلمية، والتي تتفاوت أهميتها من مادة إلى أخرى، إذ تحتوي كراسة الوضعيات الإدماجية بالتعليم الابتدائي على وضعيات إدماجية خاصة بأسبوعي الإدماج (الأسبوع 7 و الأسبوع 8) بالنسبة لكل مرحلة من المراحل الأربع مرفوقة بصور أقرب إلى ما يعرف بالرسوم التعليمية أو التوضيحية وهي عبارة عن مجموعة من الأشكال والرموز والخطوط والرسوم يعتمد تقديمها على التمثيل البصري وتساعد المتعلم على فهم النص المكتوب .

وبالنظر إلى حضور هذه الصور في كراسات الوضعيات الإدماجية بالتعليم الابتدائي أمكننا تصنيفها بحسب حضورها إلى ثلاثة أنماط هي كالآتي :

النوع الأول من الصور يتعلق بالرسوم اليدوية، وهي تختلف أحجامها بين الصغر و الكبر، وتتباين مواضعها على صفحات دفتر الوضعيات الإدماجية يمينا وشمالا، هذا بالإضافة إلى حرص المؤلفين على تنوع مضامين الرسوم التوضيحية حسب المجالات المقررة في التعليم الابتدائي، وهذه الرسوم التوضيحية نجدها تشغل حيزا مهما في المواد الخاصة باللغات كاللغة العربية، و اللغة الفرنسية و اللغة الأمازيغية إضافة إلى المواد الأخرى .أما إذا انتقلنا إلى النوع الثاني من الرسوم التوضيحية الحاضرة أيضا في كراسات الوضعيات الإدماجية فنجدها عبارة عن أشكال هندسية تتباين أيضا من حيث الحجم و الطول، كما أنها تتفاوت حسب كل مستوى دراسي إذ إنها تقوم بدور المساعد على تبليغ مجموعة من المعارف و المعلومات كما هو الشأن في مادة الرياضيات و النشاط العلمي و التربية الفنية .

أما فيما يخص النوع الثالث من هذه الصور فهي عبارة عن صور فوتوغرافية قد تمثل أشياء واقعية أو آثارا خالدة، وهي ذات أحجام مختلفة كما أنها قد تعبر عن مجموعة من العناصر المتكاملة التي تشكل المشهد المراد تمثيله داخل إطار محدود. و مثل هذه الصور الفوتوغرافية نجدها حاضرة أساسا في مادة التاريخ والتربية على المواطنة لما تنطوي عليها من أبعاد بيداغوجية و أهداف تربوية، و يمكن أن نأخذ على سبيل المثال الوضعية الإدماجية المعنونة بالمغرب قبل الفتح الإسلامي والمرفقة بصورة تمثل(مدينة و ليلي معلمة تاريخية

مغربية من العهد الروماني) و الخاصة بالمستوى السادس من التعليم الابتدائي، و هناك أمثلة كثيرة لا يتسع المجال هنا للتطرق لها كاملة.

تقويم الصورة في كراسة الوضعيات الإدماجية

يلحظ المشتغل بكراسات وضعيات الإدماج حرص المؤلفين على مراعاة سن المتعلم في اختيار و انتقاء الصور انطلاقا من التصورات البيداغوجية و الديداكتيكية و الاستفادة من نتائج علم نفس، و يظهر هذا الاهتمام بشكل أساس في إرفاق كل وضعية إدماجية بصور توضيحية دالة و معبرة تستوجب على مستوى الممارسة البيداغوجية أن يكون الأستاذ على اطلاع بمختلف التأويلات المرتبطة بالأشكال و الأحجام التي تتكون منها عناصر الصور و أبعاد تموضعها، كما أنه قد يستعين أحيانا بخبراته الفردية في التعامل مع الصورة، إلا أنه على الرغم من هذه الإيجابيات والمجهودات المحترمة التي يقوم بها المؤلفون في إعداد الصور والرسوم نلحظ أن حضور بعض هذه الصور والرسوم التوضيحية أحيانا يثير أكثر من إشكالية حول نوعيتها وجودتها ومدى تطابقها للأسناد المرافقة لها إن على المستوى المعرفي أو الوجداني.

ويمكن حصر بعض الإشكالات التي يطرحها توظيف الصورة في كراسات الوضعيات الإدماجية بالتعليم الابتدائي فيما يلي :

- خلو كراسة الوضعيات الإدماجية من الصور الملونة إذ تم تقديم الصور والرسوم بطريقة باهتة وباللونين الأسود والأبيض مع العلم أن تلاميذ التعليم الابتدائي وبالأخص تلاميذ السلك الأساس (المستوى الأول والثاني) الذين تتراوح أعمارهم بين سبع وثمان سنوات في المتوسط يميلون إلى الصور والرسوم التي تحتوي على ألوان جذابة تلفت انتباههم لما تزخر به من دلالات وإيحاءات وقيم تعبيرية ويكفي للتدليل على ذلك الإشارة إلى الصور والرسوم الواردة في الوضعيات الإدماجية الآتية:

- نموذج (ليلة باردة) والخاصة بالمستوى الثالث من التعليم الابتدائي.

- نموذج (حديقة الألعاب) والخاصة بالمستوى الأول من التعليم الابتدائي. ويزداد

الأمر حدة عندما يتعلق الأمر بالصور الفوتوغرافية والتي تشغل حيزا مهما في مادة التاريخ والتربية على المواطنة، ونذكر على سبيل المثال صورة (صومعة حسان) في الوضعية

الإدماجية الخاصة بالمستوى الخامس، أو صورة (ضريح محمد الخامس) ضمن عنوان الوضعية الإدماجية (من مآثر الدولة العلوية)، أو صورة فوتوغرافية بالأسود و الأبيض ل (مرفق عمومي لمدينة وليلي في عهد الرومان).

وعليه ينبغي التدقيق والتمحيص في اختيار الصور، ويستحسن عرضها على لجن تقنية مختصة في مجال التصوير والتشكيل بهدف إضفاء بعض التأثيرات الفنية على الصور والرسوم التوضيحية في كراسات الوضعيات الإدماجية من أجل تحقيق الجوانب الفنية والجمالية، ويستحسن في هذا الإطار استخدام الصور الحديثة في الطباعة الملونة باستخدام مقاسات مختلفة بالرغم مما يتطلبه ذلك من تكلفة مالية ومادية مهمة أثناء الطبع.

- بعض الصور في كراسات الوضعيات الإدماجية غير واضحة من الناحية الفنية

تحتوي على رسومات كثيرة ومتداخلة تشتت انتباه المتعلم لغياب الألوان.

ويمكن الاستدلال على ذلك بالوضعية الإدماجية المعنونة ب (أهمية السدود) والخاصة بالنشاط العلمي والجغرافيا. إذ يمكن للمتعلم بالنظر إلى طبيعة الصورة أن يعطي انطباعا خاطئا عن الصورة بحكم عدم وضوحها الفني على الرغم من أنها موجهة إلى تلاميذ المستوى السادس من التعليم الابتدائي.

وبناء عليه، ينبغي الحرص على أن تكون الصور والرسوم التوضيحية للوضعيات الإدماجية المقترحة منسجمة مع العنوان والنص المدعم لها، وأن تكون معبرة ومساعدة للتلميذ أثناء الإجابة عن التعليمات المقترحة في الوضعية الإدماجية.

- الأخذ بعين الاعتبار التنشئة الاجتماعية والثقافية أثناء انتقاء الصور، فالمتعلم بالعالم

القروي النائي والمهمش يصعب عليه استيعاب وفهم دلالات بعض الصور لأنها بعيدة عن واقعه المعيشي، ويمكن الإشارة على سبيل المثال إلى الوضعية الإدماجية المعنونة ب

(حلويات مع الشوكولاطة) والموجهة إلى تلاميذ المستوى الأول من التعليم الابتدائي. وأيضا الوضعية الإدماجية المعنونة بالنزهة والمرفقة بصور في حديقة الألعاب. وتأمل هذه الرسوم والصور الواردة في الوضعيتين الإدماجيتين ندرك أن التلميذ في العالم القروي والمناطق النائية بعيد كل البعد عن أنماط هذه الصور في ذاكرته، وفي هذا الصدد ينبغي للأستاذ أن يركز في انتقاء الصور والرسوم على الأشكال القريبة من المتعلم الصغير خصوصا ما يتصل بحياة الطفل وبيئته وخصوصيات المنطقة الجغرافية والتاريخية التي يعيش فيها، ومن هنا نقترح التفكير في تكوين المدرسين فيما يخص طرق وتقنيات تحليل الصورة، ولما لا التفكير

في إدراجها في مكون الإنشاء بالنسبة لمادة اللغة العربية، والتركيز عليها أكثر في مادة التربية الفنية حتى يتسنى لكل أستاذ إمكانية إبداع واختيار صور ورسوم توضيحية مناسبة للوضعية الإدماجية المدرسة لاسيما أثناء الاشتغال على إنتاج وضعيات إدماجية مكافئة بحسب خصوصيات كل منطقة مع الأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية الكائنة بين المتعلمين في التعامل مع الرسوم التوضيحية خاصة وأن الكثير من الدراسات تبين أن المتعلمين المتوفرين على الذكاء البصري- الفضائي يحتاجون أكثر من غيرهم إلى التعلم بالصورة لأن المتعلمين « الذين يتجلى لديهم هذا الذكاء محتاجون لصورة ذهنية أو صورة ملموسة لفهم المعلومات الجديدة. كما يحتاجون إلى معالجة الخرائط الجغرافية واللوحات والجداول... إن هؤلاء المتعلمين متفوقون في الرسم والتفكير فيه وابتكاره».

المراجع:

1 - شاكر عبد الحميد: عصر الصورة: الإيجابيات والسلبيات، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة ، الكويت، العدد 311 يناير 2005، ص: 14

2 - ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، مادة (صور).

3 - نوفل نيوف: الوعي والفن: دراسات في تاريخ الصورة الفنية، سلسلة عالم المعرفة ، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ص: 11.

4 - معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك،تأليف مجموعة من الأساتذة، سلسلة علوم التربية 10-9،ط1994،1، مطبعة النجاح الجديدة، ص: 163.

5 - وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي : كراسة الوضعيات الإدماجية، كراسة المتعلم المستوى الأول من التعليم الابتدائي، الجزء الأول، مطبعة الأحداث، طبعة 2010 ص :5.

6 - المصدر نفسه، ص 5.

7 - كراسة الوضعيات الإدماجية، كراسة المتعلم المستوى الثالث من التعليم الابتدائي ، ص 8 .

8 - كراسة الوضعيات الإدماجية، كراسة المتعلم المستوى الأول من التعليم الابتدائي ، ص 21.

9 - كراسة الوضعيات الإدماجية، كراسة المتعلم المستوى الخامس من التعليم الابتدائي، الجزء الأول ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ،ط 2010 ، ص :26.

10 - المصدر نفسه، ص: 27.

11 - كراسة الوضعيات الإدماجية، كراسة المتعلم المستوى السادس ، الجزء الأول، ص:

.26

12 - المصدر نفسه، ص: 31.

13 - كراسة الوضعيات الإدماجية، كراسة المتعلم المستوى الأول من التعليم الابتدائي، الجزء الأول ، ص :19.

14 - المصدر نفسه، ص :21.

15 - د. أحمد أوزي: المعجم الموسوعي لعلوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص :156.